دراسةٌ رمزيةٌ لِقصيدة «نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة للشّاعر تميم البرغوثيّ»

أستاذ مشارك دكتور. أبو الحسن أمين مقدسي

الباحث. محمود مسلمي (الكاتب المسؤول)

جامعة طهران/ فرع اللّغة العربيّة وآدابها/ إيران

A study of the symbols of poet Tamim Al-Barghouthi's "Hadith Al-Kisa" ode

Ass.Prof.Dr. Abolhassan Amin-Moghaddasi

Researcher. Mahmoud Moslemi (Corresponding Author)

University of Tehran\ Department of Arabic Language & Literature\ Iran

m.moslemi70@gmail.com

Abstract:

Using symbols is a literary technique to impress the recipient. It is clear that poets from ancient times until now have used symbols in their poems. First to be noticed is that there are meanings beyond these symbols that the researcher/reader should find them. Finding these meanings is not easy anyway. They will be found only after and through deep study of the poem. Second is the importance of symbolism among contemporary poets which will be clear if we pay attention to the high frequency of symbols they use to explain inward sentiments, political affairs, etc. This is also true when we look at palestinian poet Tamim Al-Barghouthi, the second figure of Arabic opposing/resistance literature. Al-Barghouthi forced himself to make poems and blank verses only to fight any enemy who wants to bring Islam's sacredness into question in any way. Al-Barghouthi is rooted in Islamic culture's earth and uses this heritage in his works. One of his influential works is a symbolic ode named "Hadith Al-Kisa" (the hadith of the cloak) which is full of human virtues and celebrates the greatness of Arabs and Muslims and invites them to brotherhood and to stick to Al-orwat-al-wothgha. Deep study of the symbols of this ode makes its core idea clear. It invites to unity and warns division and schism which all groups of Muslims are suffering from. This ode can be seen as a letter to governors who corrupt the earth. Last to say is about the method of this study; it is analytic-descriptive.

Keywords: blank verse, symbol, Tamim Al-Barghouthi, "Hadith-al-Kisa" (the hadith of the cloak)

الملخّص:

بات الرّمزُ وسيلةً فنيّةً يوظّفها الشّاعرُ لأن يعزفَ على أوتارها الرّمزيّة، أغنيةَ الإدهاش والتّأثير والتّجسيد الجمالي وينسج صوراً توّاقةً إلى الاستتارخلفَ جدار الكشف وواحات الإيحاء وتجارب الدّلالات الحدسيّة الدّفينة ومِن الواضح أنَّ الشّعراء في العالم منذُ زمن قديم إلى يومناهذا، كانوا يلجأون إلى توظيف الرّموز المختلفة في أشعارهم وفي حقيقة الأمر خلفَ هذه الرّموز المستخدمة في جميع قصائدهم،معانٍ مكنونة، فعلى الباحث الوصول إليها وذلك لايتيسّر له إلامن خلال الدّراسات والبحوث العميقة لهذه الأشعار، وتتّضح لنا أهميّة هذه الرّموز عند الشّعراءالمعاصرين جليّاً إذ إنّهم يُكثرون من توظيف هذه الألوان الشّعريّة للتعبيرعن مكنوناتهم النّفسيّة وبعض القضايا السياسيّة إلخ، وهكذا بالنسبة إلى الشّاعرَ تميم البرغوثي الفلسيطينيّ إذ لم يكن على أحدٍ خافياً بأنَّه يحتلُّ المكانة الثّانية في الشّعر المقاوم، حيثُ إنّهُ آلَ على نفسِهِ أن يصبَّ ثمالةَ شعره الرُحاب في الدّفاع عن كرامتِهِ والذود عن مجد الإسلام المعرق الضّارب في القدم، فالشّاعر تميم البرغوثي ما حَدَتهُ نفسُهُ إلى الشّعر ولا نَظَمَ قصيدةً إلا لأن يجعلَهُ سيفاً فتّاكاً في وجه ألدّ الأعداء الذين يبتغون النيلَ من قداسة الإسلام على شتّى الأشكال. هذا وأنَّهُ يُلاحظ أنَّ الشّاعر نَهل واستقى من معين الثّقافة الإسلامية الزاخر ليتركَ قلمُهُ أثراً ذا طابعٍ إسلاميّ ومن هذه الآثار يمكنُ التّلويح إلى قصيدتهِ التي ضمّت مَلمَحاً من الملامح الإنسانيّة بينَ سطورها داعيةً جلَّ العرب والمسلمين إلى الإخاء والتّمسك بالعروة الوثقى ألا وهي قصيدة حديث الكساء وقد قِيلت هذه القصيدة على شكل رمزي فبانَ من خلال دراسة هذه الرموز والغوص في أغوارها أنَّها مدعاةٌ إلى الوحدة مع نبذ التشتّت ونقضه، هذا التّفرق الذي مُنِيَ به المسلمون قاطبةً كما اتّضح أنَّها رسالةٌ موجّهة إلى الحكام الذين يسعَون أن يعيثوافساداً في أرض المسلمين وأخيراً خليقٌ بالذكر بأنَّ منهجَ هذا البحث يركن إلى المنهج التحليلي والوصفيّ.

الكلمات المفتاحيّة: قصيدة النّثر، الرّمز، تميم البرغوثيّ، حديث الكساء.

المقدّمة:

بادئ ذي بدء حريٌ بالذكر بأنَّ الشّعر العربيّ المعاصر يضمّ بينَ دفتيه،على وجه العموم، مضامينَ وموضوعاتٍ شتّى، وفي حقيقةِ الأمرِ أنَّ ثمةَ أواصر بينَ الشّاعر وهذه المضامين والقضايا إذ إنَّ الشّاعر مرتبطٌ كلَّ الارتباط بعصره فلو صحّ التّعبير، يمكنُ البيان بأنَّ الشّاعر يعدُّ شريانَ الأمةِ النابضَ ولسانها المعبّر عن مختلف أشجانها ومعاناتها، فيُلاحظ أنَّ الشّعراء على مرّ الأيام والعصور كانوا يلعبون دوراً بارزاً بقصائدهم لإنَّهم عبرَ هذه الأبيات يتيسّر لهم الإزدلافُ إلى ما غدا وبالاً على شعوبهم وأوطانهم ومن بين هؤلاء الشّعراء الذين طار صيتُهم في البلدان العربيّة لا بل بالعالم بأسره وقد أفردوا قصائدَهم برمّتها عن هذه الموضوعات، هو الشّاعر تميم البرغوثي الفلسطينيّ و بعد التّقصي والتعمّق في آثار هذا الشّاعر، الشّعرية، يتّضح للكلّ بأنَّ الشّاعر تميم البرغوثي لقد سخّرَ قلمه وأدبه الجمّ في الدفاع عن أرضه التي استباحها الأعداءُ وعدّوها ملكاً متوارثاً لهم من سالف العصر فَغَدَت هذه الأراضي غنيمةً باردةً في قبضتهم، فالشّاعر يرى أنَّ الشّعر هو المنقذ الوحيد الذي قد يبعث وينفخ في بعض الضمائر الميتة روحاً متّسمةً بالإنسانيّة والكرامة، الرّوح التي تعدل عن الباطل ساعيةً في أن تحقّقَ الحق الأبلج بحيثُ يُشاهدأنَّ الشّاعر من خلال بعض قصائده يبذل الغالي والنّفيس ليدعوكلّ العرب غيرَ مستثنٍ أحداً إلى الإخاء والتّواد والوحدة ونبذ الكراهيّة والبغضاء وهذه الوحدة تتجلّى لنا من خلال الاستقراء لقصديته المسمّاة ب(نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة) هذه القصيدة التي دعا من خلالها إلى تحاشي الطائفيّة من أجل الوحدة العربيّة كما يُلاحظ أنَّ الشّاعر قد وظفّ فيها عدداً كبيراً من الرموز ليعبّرَ عمّا يجول في قرارة نفسه وغورها وهو استدعاء شامل لجميع المسلمين والعرب، إلى التوحّد في كافة المراحل لا سيّما ظروف الأمة الإسلاميّة الصّعبة التي نشاهدُها في يومنا هذا. ففي مجمل القول كان للشاعر بواسطة هذه الرموز، دورٌ ثوريٌّ حيثُ جعل كلماتِ قصيدتِهِ وسيلةً لشحذ الهمم وذلك لاستعادةِ الحرّية والهويّة المسلوبة.

الأسئلة والفرضيات:

- ✓ ما داوعي الشّاعر من استخدام هذه الرّموز؟
- ✓ ما مدى براعة الشّاعر في خلق التّصاوير ذات الطّابع الرّمزي؟
- ✓ ماالدّلالات ذات الصّبغة السّياسيّة في القصيدة؟

بناءً على هذه الأسئلة التي ذُكرت، يُسعى إلى إثبات الفرضيات التّالية:

– بغية الشّاعر من توظيف هذه الرّموز، هي الدعوة الشّاملة إلى الإخاء والوحدة كما أنَّها جاءت للإفصاح عن مكنونات نفسه.

– إنَّ الشّاعر كان موفقاً كلَّ التّوفيق في خلق هذه الصّور إذ أعطاها صبغةً رمزيّةً وأتموسفيراً دينيّاً، سياسياً.

– استخدم الشّاعر الكثير من المفردات والرموز ليدلَّ بها على غرضٍ سياسيٍّ لتحقيق الوحدة ونشر العدل.

دراسات سابقة:

درس عددٌ من الباحثين شعرَ الشّاعر تميم البرغوثيّ منهم:

1. رواق، خالصة، حوار المذهب والثّورة في شعر تميم البرغوثيّ، قراءة في قصيدة نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة(2015م): تتطرّق الباحثةُ في رسالتها الجامعيّة لنيل الماجستير، إلى حياة تميم البرغوثيّ والآراء حولَ شخصيته وهكذا المذاهب الدينيّة ومفهوم الثّورة مع قراءة مقتضبة وعابرة لقصيدة نثر موزون وشعر منثوربحيث تناولت الباحثةُ جماليّة الاستهلالات النّصيّة والخواتيم النّصيّة وجماليّة المظاهر اللّغويّة، وجماليّة الأنساق اللّغويّة المتضادّة واللغويّة المتوازيّة كما أنَّها عالجت التّناص الدّينيّ في هذه القصيدة بشكل مختصر جداً دونَ التّعمق والخوض في التّفاصيل المهمّة لهذه القصيدة كمعالجة الرموز وما تكمُن في مطاويها.
2. شرتح، عصام، تميم البرغوثي، دراسات نصيّة في المحفزّات الجماليّة ومختارات شعريّة(2012م): لقد تناول الباحثُ في هذا الكتاب، جماليات الصّورة الشّعرية و جماليّة الاستهلالات اللّغويّة، اللغويّة المتوازيّة التي ذكرت في الدّراسة الماضية وهكذا درس إضاءات نقديّة في المفاصل النّصيّة لعدد من قصائد تميم البرغوثيّ وفي الأخير قام بذكر مختارات شعريّة من شعره.

3. نادية، مداني، الخصائص الأسلوبيّة في ديوان في القدس للشاعر تميم البرغوثيّ (2012م/2013م): تناولت الباحثةُ في هذه الرسالة لنيل مرحلة الماجستير، الأسلوبيّة بمختلف اتّجاهاتها فى ديوان القدس ليس إلا.
4. تناولت مجموعة كبيرةٌ من الصّفحات الإلكترونيّة، شعر الشّاعر تميم البرغوثيّ بشكل مقالات.

وأمّا بالنسبة إلى دراستنا التي تكتسي ملمحاً هامّاً، فهي الأولي من نوعها في معالجعة هذه القصيدة علاجاً رمزياً إذ تمّ التّركيز في هذا البّحث على الخوض في جميع تفاصيل القصيدة لانتشال الرّموز والأفكار والنوايا التي تكمُن فيها كبعض القضايا السّياسيّة الموجّهة إلى الحكام والدينيّة الموجّهة إلى شيوخ الدّين. وعلى وجه العموم،أنَّ الرّكيزة الأساسيّة التي تنصّ عليها هذه الدّراسةُ هي استخراج الرّموز والإشارات الهامّة عن بعض القضايا اللافتة للنظر ذلك لأنَّ الباحثة رواق،ماتطرّقت إليها في رسالتها الماجستير البتّة وهذا مايفصِلُ بينَ درستنا ودراسة الباحثة رواق وسائر الدّراسات.

قصيدة النّثر (من سوزان برنار إلى سماتها الخاصّة)

تعتبر القصيدة النثرية، ثورة جديدة في الشّعر العربيّ الحديث وفي الواقع أنَّها تعبير عن وحدة الكلام في الموضوع والمضمون من البداية إلى النّهاية فيشاهد أنَّها تعبّر عن خلجات النّفس ونوازعها النّابعة من القلب كما ينبع الشّعر من الإحساس و الوجدان والعاطفة، فالقصيدة النّثرية في بعض الأحيان تظهر فيها القافية وحتى الوزن وفي بعض الأحيان تخلو من هذين العنصرين الأساسيين ولكنَّها لم تفقد إسجاعها وتماسك أضلاعها ولا شعورها المندفق في أعماق النّفوس فمع كلّ ما ذكر نجد أنَّ سوزان برنار تحدّد قصيدة النّثر على النّحو التالي فتقول:« إنَّ قصيدة النّثر هي تماماً، نوع مختلف، ليس هجيناً، في منتصف الطّريق بين الشّعر والنّثر، لكنَّه شعر خاصّ، بمثابة نثر إيقاعي مكتوب بشعريّة رهيفة، يفترض بنية وتنظيما، بكلّ ما فيها، إذ يبقى أن نعلن القوانين: قوانين ليست صريحةً فقط، إنَّها عميقة، عضوية، مثلما هي الحال في كلّ نوع فني حقيقي، وتعتبر قصيدة النثر في منطلقها ردّ فعل على المعايير وأشكال الجمال المطلق للقرن السّابع عَشَرَ، يمكن أن تعتبر شكلاً حديثاً للشعر» (بزون أحمد،1996م:ص56)

يعتقد محمدحمودبأنَّ: «قصيدة النّثر هي ترجمة حرفية لمصطلح غربى"poem en prose" تكتب كما يكتب النّثر تماماً، أي هي تدقّق، تقدّم مستمرّ وجدت لتحديد بعض كتابات رامبو النّثرية الطّافحة بالشعر كموسم في الجحيم وإشراقات، ولها أصول عميقة في الآداب كلّها ولاسيّما الدينيّ منها والصّوفي» (حمود محمد،1996م:ص189)

فعلاً أنَّ القصيدة النّثرية هزّة جميلة وغذاء روحي لذيذ يمتزج بماء عذب ونسيم شمالي يهبُّ على الوجنات حاملاً معه ريحة الأحباب وفي الواقع هي نثر غايته الشّعر إذ يقول كمال خير بك عن هذه القصيدة: «نحن نفهم بقصيدة النّثر مجموع العمل الشّعري المحرّر من الإيقاع والقافية المميّزين للنظم. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا النّوع من الشّعر المحرّر كان يقدّم نفسه وفق شكلين من الكتابة أو التّنظيم الخطي: الأوّل هو الشّكل المدعوّ،عموماً، بالشعر المطلق والثّانيّ هو الشّكل النّثريّ بصريح التّعبير والذي يحتكر تسمية قصيدة النّثروفيما تمثّل الشّكل الأوّل في أعمال الماغوط وجبرا إبراهيم جبرا وتوفيق صايغ، تمثّل الشّكل الثّانيّ في نتاج أدونيس وأنسي الحاج وشوقي أبي شقراء وعصام محفوظ ويوسف الخال» (خيربك كمال،1986م:ص355)

ويذكر أنطوان أبو زيد التّعريف الذي قدّمه أنسى الحاج عن قصيدة النّثر، فيقول: «كان أنسي الحاج أسبق شعراء النّثر ونقّاده إلى التّعريف بقصيدة النّثر وتبيان عناصرها التي تتكوّن منها:فهي بنظره، ذلك العلم المستقل الكامل المكتفي بنفسه، وهي الصّعبة البناء من تراب النّثر وهي نتاج الشّاعر الحقيقيّ الذي لا يفضّل الارتياح إلى أدوات جاهزة وباليّة تكفيه مؤونة النّفض والبحث والخلق، على مشقّة ذلك» (أبو زيد،2012م:ص7)

ثمّ يتابع ملخّصاً قول أنسي الحاج: «يستفاد من ذلك كلّه أنَّ تصور الشّاعر أنسي الحاج لقصيدة النّثر، من حيثُ هي التمرّد الأقصى على البُنى الشّعرية التقليديّة وبعبارة أخرى هي: انتافضة فنيّة ووجدانية معاً، أو فيزيكية وميتافيزيكيّة» (*المصدر نفسه،ص10-11*)

فمن خلال ما تقدم يتعيّن علينا، الذكر بأنَّ القصيدة النّثريّة كسائر الأصناف الشّعرية، تتّسم بسمات خاصّة ومن تلك السّمات يمكن الإشارة إلى ما حدّده أحمد سالم الغوج فيقول عنها:

1. إنّها خالية من الوزن العروضي والقافية وتعتمد على موسيقى الألفاظ والتراكيب.
2. تهتمّ بالصّور الفنيّة والمجاز والجمال الفني.
3. معبّرة عن ذات الشّاعر ومكنوناته الوجدانيّة.
4. درامية الأفكار ومن خلال درامية الأحداث وعمق الرؤية والتجربة.
5. تعتمد على قوة العاطفة في التّأثير على القرّاء» (سالم الغوج،2013م: ص194)

غايةُ ظهور قصيدة النّثر في الأدب العربيّ وجذورها

لاغروَ في أنَّ قصيدة النّثر مثل الشّعر الحرّ، تضمُّ بين دفتيها بعضَ الأهداف على سبيل المثال، يقول الدكتور صادق خورشا عن ظهور قصيدة النّثر في الشّعر العربيّ المعاصر مع حركتها: «إنَّ ظهور قصيدة النّثر في الشّعر العربيّ المعاصر ارتبط ارتباطاً إيدولوجيّاً بروّادها، فهي لم تكن مجرد حركة إنقلاب على الشّكل أو القوالب أو الأنماط المتوازنة مثلما كان الحال مع حركة الشّعر الحرّ أو ما سبقه من تجديد في الشّكل» (خورشا،1391ش:ص219)

ثمَّ يواصل مبيّناً هدفَ حركة التّحول إلى قصيدة النّثر: «بأنَّ حركة التّحول إلى قصيدة النّثر كان وراءَها هدفٌ إيدولوجيٌ يعمد ليس إلى تحويل القصيدة إلى شكل جديد غير مألوف بل يريد طرح تلك الموروثات الثّقافيّة التي غذّت القصيدة التقليديّة» (*المصدر نفسه*: ص219)

وأمّا بالنسبة إلى جذورها فالبعضُ يرى أنَّ القصيدة النّثريّة مستوردة البناء والشّكل بكامل سماته من الغرب فأتى إلينا هذا الصّنف في مطلع القرن الماضي من قبل بعض الروّاد المتأثرين بشعراء الحداثة الغربيين نحو:ت.س. إليوت الإنكليزي ورامبو الفرنسي واعتبروا هذا الصّنف دخيلاً على الشّعر العربيّ فيقول باروت عن جذور هذه القصيدة«إنَّ قصيدة النّثر العربيّة، ليست إضافة خارجية، بل إنَّ لها جذوراً في التّراث الكتابيّ العربيّ، وفي لحظات ثلاث منه هي:القرآن، الشّعر الصّوفيّ، أدب جبران.فمثلما كان القرآن الدواين الأدبي للحركة الإسلامية، والشعر الصوفي، الديوان الأدبي للحركة الصوفية الاجتماعية، كان أدب جبران الديوان الأدبيّ للتّحولات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة في مطلع هذا القرن...» (فائز العراقي،2008م:ص78)

ويقول أحمد سالم الغوج عن ظهور قصيدة النّثر في الوطن العربيّ أيضاً: «بداية قصيدة النّثر الفعليّة في الوطن العربيّ ترجع إلى جماعة "مجلة شعر" التي أسست في بيروت سنة 1975م بإدارة كلّ من يوسف الخال وخليل حاوي ونذير العظمة وأدونيس.ثمّ انضمّ إليها شوقي أبو شقرة وأنسي الحاج. ودعمها من الخارج جبران وسلمى خضراء الجيوسي» (سالم الغوج،2013م:ص193)

الرّمز في الشّعر

حظي الرّمز باهتمام جميع الشعراء لا سيّما العصر المعاصر لإنَّهُ حجاب منسدل على النصّ و ينوي الكاتب من هذا الحجاب أن يدعو المتلقي إلى التّدقيق وفي الواقع، يمتاز الرّمز بالغموض والإبهام وفرة الدّلالات وبهذه المواصفات يترك الكاتب تفسير النص وفهمه على المخاطب وذلك إتساعاً لفحوى كلامه من جهة وغموضه من جهة أخرى فنرى أحمد سالم الغوج يقول عن الرّمزية «الرمزية هي فن التعبير عن الأفكار والعواطف ليس بصورة مباشرة أي: التّعبير عنها برموز غامضة وفي الواقع هي طرية الأداء الأدبي التي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر لإثارتهما بدلاً من تقريها أو وصفها أو تسميتها بهدف توكيد المشاركة الوجدانيّة بين الشّاعر والمتلقي من طريق الإعتماد على وسائل الإيحاء في الأصوات والتراكيب»(*المصدرنفسه*:ص121)

ويقول النّقاد إيليا حاوي عن سبب استخدام الرّمز «يستخدم الرّمز بوصفه وسيلة فنية لتحقيق غايات موضوعيّة وأخرى جماليّة ونفسية تختلف تبعاً لأهداف الإتّجاهات الأدبيّة وفلسفات أصحابها وميولهم الشخصيّة»(الحاوي،1983م: ص 142)

في هذا الجانب يعتقد الباحثان أنَّ سبب ميلان الشّعراء إلى إخفاء المعاني وعدم التّصريح بهابواسطة هذه الرّموز، هو أن يزيدوا الشّعر إبهاماً وذلك إنزياح عن الكلام العاديّ ليكون صورةً أسمى من بين أنواع الصّور الشّعريّة وفي الواقع تعتمد الرّمزية على خصائص مختلفة ومن هذا يمكن ذكر الخصائص التي بيّنها يوسف عيد فيقول عنها«1.ضد الواقعيّة وردّاً على الرومانسيين الذين حاولوا أن يصفوا العواطف الفرديّة بلغة صريحة 2.تعتمد على سيطرة الإيحاء على كل ما عداه سيطرة تجعل الرّمز دلالة

أوليّة على المعانيّ العقليّة والمشاعر العاطفيّة3.الإيجاز وغير المباشرة4.بعيدة عن التّصريح والإفصاح المباشر وتميل إلى الغموض والإبهام الذي هو عنصر قوّتها5.صورهم رمزيّة غامضة6.ألفاظهم وتعابيرهم موسيقيّة عذبة رنّانة» (عيد،لاتأريخ: ص212)

هذا وأنَّ فائق مصطفى يذكر فلسفة الرّمزيين قائلاً:«هجر الرّمزيون الواقع المحسوس، ونأوا بأنفسهم عنه وذلك لأنَّ فلسفتهم كانت تقوم على أساس أنَّ العالم الماديّ الذي نعيش فيه اليوم ونحسّهُ وأنَّهُ رمز لعالم غير محسوس وأنَّ مظاهر الكون الماديّة كافة ليست إلّا رموزاً لحقائق أخرى أسمى وأعظم ومن تلك الحقائق أو الماديات التي نراها ونلمسا في العالم المحسوس(مصطفي، 1979م،79، نقلاً عن الغوج،ص 120)

يذكر غازي يموت مؤكداً على أنَّ الرّمز في التّعبير الشّعريّ لا ينبغي أن يتحول إلى لغز فهو على حدّ ذاته يخالف بعض الآراء في غموض الرّمز وإبهامه فيقول« الرّمز هو أحد أساليب اللّغة في التّعبير الشّعريّ بشرط أن لا يتحول إلى لغز بل يجب أن يظلّ الرّمز على شفافيّة تنمّ عمّا خلفه أو توحي بمضمونه»(يموت،لاطبع،ص 65، نقلاً عن محمد على الكندي،2003م،:ص 58)

ويذكر الباحثان بأنَّ توظيف الرّمز يجب أن ينبع من قلب الشاعر متفقاً مع التّجربة الشعوريّة فضلاً عن أنَّهُ لابدّ أن يكون له ارتباطٌ بعصر الشّاعر وفقاً لما قاله عزّ الدّين اسماعيل«....تكون الرّموز التي يتسخدمها الشّاعر ضاربة بجذورها في التّأريخ... لا بدّ أن تكون مرتبطةً بالحاضر وبالتّجربة الحاليّة»(اسماعيل1981م:ص 199)

إيضاءٌ رمزيٌ على قصيدة(نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة):

أولاً:نثر موزون

(حديث كساء النبي الذي سوف أكتب عنه، حديث عن الوحدة العربيّة والعافيّة وسأبدأ قولي بنثر أضيف له الوزنَ والقافية ومن بعده سوف أنشد شعراً بلا حلية الوزن يحسب نقادُهُ خطأً وأنَّ ما فيه من صور، حليةٌ كافيةٌ وبعدَهما سأوحّدُ بينَهما، حيثُ إنَّ القصيدة عن وحدة النّاس في وطني، ولأنّي أرى وحدة المذهبين على مذهبي اللّغة العاليّة) (شرتح، تميم البرغوثيّ:ص138)

إيضاءٌ على القطع أعلاه:

يمكنُ البيان أنَّ الشّاعرَ قال هذه القصيدة،إذ إنَّ عنوانهاجليٌّ وبيّنٌ يُفصح عن الباطن، محاولاً في أن يحقّقَ الوحدة العربيّة على أرض الواقع لأنَّ الشّاعر أعرب عن مغزى القصيدة بذكر(وحدة الأمّة) في العنوان، كما أنَّه لم يبتغ أن يدعوَ المتلقّي إلى الفهم والتمعّن لا بل بالعكس يُلاحظ أنَّ قصيدة الشّاعر تميم البرغوثيّ تظهر على شكل عباراتٍ متّسمةٍ بسهولةٍ بحتة وإلى جانب هذه البساطة في اقتفاء الألفاظ، يسعى الشّاعرُ أيضاً أن يلمّحَ إلى رموزٍ مبهمة لافتةٍ للنظر ووفي حقيقة الأمر، البغية الأساسيّة المتوخّاة من هذه الرموز هي إيصالُ الفكرة المضمرة في غرارة جوانيّة الشّاعر، إلى المسلمين والعرب كافةً ومن هذه الرّموز اللطيفة التي قد أثارت منذزمن قديم حتى يومنا هذا، جدلاً وجدالاً كثيراً بين مذهبي الشّيعة والسّنة، هي حديث الكساء:

قد يفي بالغرض لو تمَّ القولُ بأنَّ الشَاعر كان موفقاً في اختيار عنوان قصيدته لأجل التّعبير عن خلجات نفسه فيبدو أنَّهُ كان متفتّح العقل والفكرة لدى اختياره لهذا العنوان، مهما يكن فقد سعى الشّاعر أن يوجّهَ بعضَ الرؤى لجميع المسلمين والعرب ذلك بأنَّكم أمّة واحدة ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتّقوى والعمل الصالح فيطلب منهم أن يصبحوا يداً واحدةً في شتّى المواقف فمع كلّ ما سُطر آنفاً يُشاهد أنَّ الشّاعر قد وظّف الكساءَ، رمزاً دالّاً على الوحدة والإخاء مع اختلاف وجهة النّظر.

الكساء ← رمزٌ للوحدة والإخاء وعدم التّمييز بين الصّغير والكبير فالكلّ حسب التّقوى والفضيلة التي يكسبها يتّسع له الكساء.

فالشّاعر يذكر قائلاً: إنَّ مفادَ هذه القصيدة كما أنَّ جُلّنا أو كلّنا عارفٌ بحقيقتها، تبرز لنا في أهميّة الكساء ولا ريبَ في أنَّ هذا الكساء يجسّدُ ويصوّرُ لنا المزيد من الوقائع والسّبب في أداء هذه القصيده ولغتها، إذ جاءت على منوالي النّثر والشّعر الموزونيين، هو رعايةُ حال محبي النّثر والشّعر.

ويعقّب الشّاعر معرباً عن مكنون حديث الكساء:

حديث الكساء، حديثٌ قصير مؤدّاه أنَّ النّبي دعا حسناً وحسيناً وفاطمةً وعليّاً وضمَّ عليهم كساءً من الشّعر، ثمّ دعا الله أن يذهب الرجز عنهم، فأنزل ربُّك آيةَ تطهيرهم، هكذا وردت في مراجع أهل الحديث من الفرقتين.

حديثُ الكساء حديثٌ جميل ولست أبالي إذا اختلف النّاس من بعد ذلك في الأثر الطائفيّ لذكري له.(شرتح، تميم البرغوثيّ: ص138)

إيضاءٌ على المقطع أعلاه:

يعقّب شاعرنا في مقاطعه النّثريّة قائلاً إنَّ الفرقتين(الشّيعة، السّنة) كلتيهما أجمعتا على أنَّ الغرض الرئيس من هذا الحديث هو تطهير أهل بيت النّبي محمّد(ص) تماماً فمع ذلك يتابع القولَ: بأنَّه لا يُعير أذناً صاغيةً لتلك المذاهب والأثر الطائفيّ فيما يتعلق بهذا الحديث و لم يكن الهدف من ذكر هذا الحديث وتسمية هذه القصيدة بالكساء إلا من أجل الوحدة على رغم اختلاف المذهبين في الآراء والمعتقدات، ففي مجمل القول، أنَّ هذا الحديث له جماليته وصوابيته وفي الواقع لو تمّ التّدقيق مليّاً في هذا المقطع يلاحظ أنَّهُ الشّاعر قد استدعى الخطاب القرآني وسياقه الذي تعلّق بأحوال حديث الكساء فمهما يكن من شيء، يعدّ هذا الاستدعاء صنفاً من أصناف التّناص وهو التّناص الدّيني إذ يعتبر القرآن الكريم رافداً مهمّاً للشّعر العربيّ المعاصر، فقد اتجّه الكثيرُ من الشّعراء العرب المعاصرين إلى الاقتباس منه فهذا التّناص يتجلّى لنا لدى قول الله تعالى [إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرُكم تَطهيراً](آل عمران، آية 107) و يذكر جبر شعث، مدى أهميّة القرآن الكريم « يمثّلُ الخطاب القرآنيّ نبعاً أصيلاً للتناص عند الشّعراء وهم يحاولون تحقيق وظيفة أساسيّة من خلال التّناص القرآنيّ حيثُ يهدف إلى امتلاك قدرات إبداعيةتتيح لهم ممارسة فاعلية التكوين الشّعر المتفرّد وتتيح لهم في الوقت نفسه شرعية التخالف أو التآلف مع أيّ نص قديم وجديد وهذه الشّرعية كما يبدو تجد سندها القوي في الخطاب القرآنيّ الذي لا يخلو خطابٌ شعري حداثي من استدعائه وامتصاصه على نحوٍ من الأنحاء. (جبر شعث،2014:ص104، نقلاً عن مسلمي، 1396ش: ص213)

بيان دلالة الرّموز:

الكساء← رمز لتطهير المسلمين والأمة العربيّة.

الكساء ← رمز للجمال على رغم اختلاف المذهبين.

(بل وإنِّي لمن أجلِ هذا خصوصاً ذكرت الحديث لقد نظر الناس في أثر الضمّ، هل فيه رمز لعصمة من كان تحت الكساء أم القصد تكريمهم دون توصية بالإمامة بعدَ الرسول ولكن أنا ولأنّي من الشّعراء ولست من الفقهاء ولا ابتغي أن أحوّلَ هذه القصيدة درساً بعلم الأصول، أقول وأجري على الله فيما أقول بأنّي سأدخل فيه اللذين أبَوا أن يذلّوا لغازٍ أتاهم وأخرج منه الذين على العكس منهم أباحوا لحاهم فمن ردّ كيدَ اليهود عن المسلمين بلبنان عنّي سيدخل تحت الكساء ومن ردّ كيد التحالف عن شارعٍ في العراق سيدخل تحت الكساء وإن كان هذا على مذهبٍ لا يوافق ذلك فإنّي أرى تلك موعظة لو تفكر أهل العقول وهذا خلاصة نثري)(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص139)

إيضاءٌ على المقطع أعلاه:

هذا وأنَّ الشّاعر قد اختار هذا الحديث متعمداً ليرمز به على بعض نواياه كما سيُذكرُمفصّلاً، فيعقّب الشّاعر بأنَّهُ ليست غايته من ذكر هذا الحديث هي إثبات صوابيّة هذه الآية في أنّها هل ذكرت من أجل تطهير أهل بيت النّبي(ص) عن الرّجس أو إثبات صوابيّة خلافة الإمام علي (ع) كما أنَّه لم يكن الهدف من ذكر هذه القصيدة، تعليم علم الأصول وإنَّما الغرض الأساسي والجليّ، الوحدة والإخاء بين المسليمن والعرب.

فوفقاً للمقطع أعلاه، يُواصل الشّاعر الكلام، عن هذا الحديث مشبّهاً نفسه بالنّبي الأكرم(ص) إذ يقول: سيكون تحتَ الكساء جميع المسلمين الأباة الذين لم يخضعوا للجبابرة ووفقوا بكلّ ما أُتوا من قوةٍ ضدّهم، وعلى العكس، سيُخرج الذين أباحوا جميع ممتلكاتهم للأعداء الألدّاء حيثُ إنَّهم لا يملكون الكفاءةَ الكافيةَ لأن يبقوا تحت هذا الكساء الموحّد لشمل الأمّة، فكلٌّ من ردّ كيد اليهود إلى نحورهم بلبنان ووقف إلى جانب اللبنايين في السّرّاء والضرّاء سيدخل تحت هذا الكساء آمناً وهكذا سيدخل تحت الكساء، من وقف في وجه الاستبداد والتّحالف في العراق.فلبنان والعراق وأيّ جزء آخر من الوطن العربيّ هي أجزاء يكمل بعضها

البعض والولاء والانتماء لأيّ منهما، هوولاء وانتماء لها كلّها لأنَّها وطن واحد. وفي النهاية يختم موجّها بعض النّقاط المثيرة أنَّ لو تأمّل أصحاب العقول لَاستنبطوا أنَّ الغاية المنشودة من هذا الحديث، الوحدة والإخاء لدى المسلمين ليس إلا وفي حقيقة الأمر يجعل الشّاعر، الكساء يتّسع لكلّ ثائر في الأوطان العربيّة ليحميَهم من كلّ غدر ورجس ومع كلّ ما ذكر آنفاً يبدو أنَّ الشّاعر كان مصيباً في بلورة خلق الصّور والمشاهد إذ اختار حديثَ الكساء للتعبير عن فكرتِه مِن ثمَّ يمثّل الشّاعر شيئاً من دور النّبي الأكرم(ص) ويجعل جلّ المسلمين الذين لا ينقادون للأعداء بمثابة أهل بيته ولذلك أُذِن لهم ليكونوا تحت الكساء.

بيان دلالة الرّموز:

الشّاعرتميم البرغوثي ← رمزٌ للنبي الأكرم القادر على إدخال المسلمين تحت الكساء وإخراج غيرهم من المنافقين الذين يريدون بالأمّة الطعنَ وتشتيت الشّمل حسب العِرقيّات والمذهب.

كساء النبي ← رمز لحضن يحمي جميع المسلمين الأباة سنيّاً وشيعيّاًو...، هؤلاء الذين لا يخضعون لإيّ مستبّد يريد المساسّ بدينهم وعقيدتهم ووطنهم.

بيان دلالة الصّور:

صورة دخول المسلمين الأباة بيد الشّاعر تحت الكساء مثل صورة دخول أهل البيت النّبي في الكساء.

صورة طرد الجباة بيد الشّاعر من تحت الكساء صورة مع أنَّها مبدعة من قبل الشّاعر، مثيرة جداً.

ثانياً:شعر منثور

دخان كثيف يوزن بالأطنان يعبر الخرائط

إن ترفع يدك لا ترها

والنّاس يصدم بعضهم بعضا كسيارت الملاهي

فإن تتبعتَ الدخان إلى مصدره وصلت إلى غليون القيصر(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص139)

يتابع الشّاعر قصيدته بشعر منثور مصوّراً للقارئ في المقطع الأوّل منها، بعض المشاهد والحالة الغريبة التي مُنِيَ بها العرب من الهرج والمرج فيذكرالشّاعر أنَّ ثمّةَ دخاناً كثيفاً قد خيّمَ على سماء الأوطان العربيّة والنّاس في حالة فوضى عارمة ولم يكن منبع هذا الدّخان الذي جعل الشّعب على هذه الحالة النكراء إلا من غليون القيصر ويعني من غليون القيصر، الملوك الذين لم يتعمتّوا بالقدرات الكافيّة لإدارة شعوبهم إثرَها تحصل الاضطرابات الكثيرة والحروب الطائفيّة التي تسبّب في تفتّت شعوبهم. ومع كلّ ماسبق ذكره، يستنبط بعد الإمعان في المقطع الذي ذُكر أنَّ هذا النّص الشّعريّ، يحتضن النّص القرآنيّ ويستدعيه وإن قام الشّاعر بتحويله إلى دلالة شعريّة نابعة من رؤية الشّاعر وتجربته فالشّاعر بذكر(إن ترفع يدك لا ترها) يحيلنا بقوّة إلى قوله تعالى ليوصل فكرته إلى المتلقّين وهي البلبلة التي حصلت في الأوطان العربيّة وهذا التّعبير قد أُستُلّ من قوله سبحانه وتعالى [أو كظُلُمَاتٍ في بحرٍ لجيٍّ يغشاهُ موجٌ مِن فوقِهِ موجُ مِن فوقِهِ سَحابٌ ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ إذا أَخرَجَ يَدَهُ لم يكد يَرَاهَا ومَن لم يجعلِ اللهُ لَهُ نوراً فما لَهُ مِن نورٍ](النّور40:24)

بيان دلالة الرّموز:

دخان كثيف ← رمزٌ للفوضى والاضطراب وكناية عن الحروب وهذا القول يوحي في أذهاننا قوله تعالى(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)(الدّخان، 10) إذ نرى أنَّ الصّورتين ترسمان لنا حالة الهلع والخوف وأنَّ العذاب قد نزل من تحت الأرجل ومن فوق رؤوس الناس والكلّ يبحث عن مخلّص يتفلت به عن هذه الحالة وما حصلت هذه الحالة إلا لأنَّ النّاس قد اتّبعوا الحكام المبـاين هديّهم هدي الأنبياء.

إن ترفع يدك لاترها ← رمزٌ على كثافة التّشويش والفوضى في الأمّة الإسلاميّة كما هي تناصّ مع قوله تعالى (إذا أَخرَجَ يَدَهُ لم يكد يَراها).

غليون القصر ← رمزٌ لمنبع الدّخان وهو القيصر الفاسد الذي تنتج يداهُ الحروبَ الطائفيّة.

بيان دلالة الصّورة:

دخان كثيف يوزن بالأطنان← اجتمع دخانٌ على دخان على دخان حتى أصبح هذا الدّخان الذي هو في الأصل عديم الوزن، ذا وزن كبير يوزن بالأطنان وهذا إن دلّ فيدلّ على تلك الفوضى العارمة التي أحاطت بكلّ شارد وارد.

ثمَّ يواصل الشّاعر قائلاً:

ساعتان رمليتان،كلّ واحدة تتهم الأخرى بأنَّها مقلوبة

وتدعوها أن تعتدل مثلها

ويد واضحة جداً تقلبهما في نفس اللحظة

ومن موقعيهما الجديدين (شرتح، تميم البرغوثي:ص141)

بما أنَّ الشّاعر تميم البرغوثي يعتبر مِن الشّعراء الجاعلين شعرهم خدمةً للحريّة فهاجم المحتلّين وأبرز المقاومة بوصفها طريقاً للتحرّر فيُلاحظ من خلال الإمعان في المقاطع التي سبق ذكرها، أنَّهُ يتحدّث عن التّطرف الدّيني والعصبيّة المذهبيّة وهو واقع الأمّة العربيّة الذي نراه اليوم، الواقع الذي حصل بيد الملوك الذين زرعوا الفِتَنَ بين شعوبهم إذ باتت أحزاباً تكتُلُ بعضُها البعض.

بيان دلالة الرّموز:

ساعتان رمليتان ← رمزٌ للمذهب الشّيعي والسّني المتبانيين بسب إثارة النّعرات الطائفيّة من قبل المستفيدين منها وهذا تصوير بديع من نوعه حيث رمز بالساعة الرّملية بكل مذهب ونحن نعلم أنّ السّاعة الرّملية يمتلئ إحدى جانبيها على حساب خلوّ الجانب الآخر فيفتقدان الوزن والتعادل بينهما.

يد واضحة جداً تقلبهما في نفس اللّحظة← رمز للاحتلال

وهكذا يواصل الحديث عن واقع الأمّة العربيّة فيقول:

أربعة جيوش من ورق اللّعب

جيشان أحمران وجيشان أسودان

تظهر المذيعة في نشرة الأخبار

يتقاتلان الأسودان والأحمران(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص141)

هذا وأنَّ الشّاعر في هذا المقطع يواصل الحديث عن بعض الخلافات والحروب الطائفيّة الواقعة بين جميع المسلمين إذ تتكتل الجيوش.

بيان دلالة الرّموز:

جيشان أحمران وأسودان← رمزٌ للحروب الطائفيّة والخلافات.

الجيش الأحمر: يرمز إلى الجيش القتّال الفتّاك العرمرم الذي لا يجابه في فوران الوطيس وهويدلّ على القوّة والنّشاط كما يدلّ على العواطف الثّائرة.(جيوش المسلمين).

الجيش الأسود: وهو الجيش الخادح المزيّف، الجيش الذي غايته بثّ الخلافات (جيوش أعداء الأمّة الإسلاميّة).

الجيشان الأحمران هما رمزان للجيش المتكوّن من الشّيعة والسّنة وهما جيشان قويّان لولا وجود الجيشين الأسودين الذيين يسعيان جاهدين لنشر الخلاف بين أفراد الجيشين الأحمرين من شيعة وسنّة.

بيان دلالة الألوان وتناسبهما مع الجيشين:

اللّون الأحمر: يذكر فاتن عبد الجواد دراما اللّون الأحمر قائلاً« اللون الأحمر، لون العواطف الثائرة والحبّ الملتهب والقوة والنشاط وهورمز النار المشتعلة ويستعمل بعض الأحيان للدّلالة على الغضب والقسوة والخطر»(عبد الجبارجواد،2009-2010م: ص138)

اللّون الأسود: وهكذا يقول فاتن عبد الجبار جواد مبيّناً دلالة اللّون الأسود« إنَّ اللّون الأسود فهو كثيراً ما يرمز عادةً وعموماً إلى الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم وهو سلبيّ اللون يدلّ على العدميّة والفناء»(المصدر نفسه:ص44)

وهكذا يذكر مبيّناً حالة الخلافات وصور أصناف الشّيوخ البشعة منهم:

على هامش الصّورة

جموع المشجّعين، يضرب بعضهم بعضاً بالأحذية

شيوخ الدّين: يبنون مساجد في الفضاء الخارجي

شيوخ السّياسة: يحملون الكراسي على رؤوسهم

كآلهة المصرين القدامى

شيوخ الكلام: والكلام أمر عظيم مشغولون بقصيدة النثر

والكبت الجنسي والاكتئاب

وأنا أحاول أن أكملَ هذه القصيدة(شرتح، تميم البرغوثي:ص143)

يستمرّ الشّاعر هكذا في وصف حالة الأمّة العربيّة وتلك الخلافات والنّعرات الطائفيّة بين الأمّة الإسلاميّة حيث كلٌ يغنّي عن ليلاه و شيوخ الدّين منهمكون في تشييد المساجد بأماكن شتّى دون أن يقفوا في وجه هذه النّعرات الطائفيّة للحيلولة دونها كما أنَّ شيوخ السّياسية مشغولون بنقل كراسيهم من وقت لآخر والاحتفاظ بها والتّرفيع مع التّقديس حتى لا يسلبها أحدٌ منهم شأن آلهات المصريين عند القدامى وأخيراً يحين دور شيوخ الكلام وهم منشغلون بقصائدهم النّثريّة والكبت الجنسي إذ إنّهم في حالة التّفكير بما يجري حولهم من أحداث ووقائع دون الاهتمام ببعض الأغراض الهامشية وكذلك الشّاعر تميم البرغوثيّ، في هذه الفوضى والمعمعة يسعى أن يكمل قصيدته لإيصال فكرته الصّالحة وهي الوحدة والإخاء فيشاهد من خلال الإمعان في هذا المقطع المصبوغ بصبغة سياسيّة، بأنَّ الشّاعر يوجّه المزيد من القضايا السّياسيّة إلى الحكام ويلقي اللّومَ عليهم لأنّهم واقفون مكتوفي الأيدي تجاه هذه المجازر التي تكاد تأتي على أخضر الشّعوب ويابسها.

بيان دلالة الرّموز:

ضربُ المشجّعين بعضهم البعض ← رمزٌ للنعرات والخلافات وأنّ الجيش الأحمر القويّ ضعُف وخار عزمه أمام الجيش الأسود الوهمي الضعيف وما ذاك إلا أنَّ القويّ آمن بوساوس الجيش الأسود.

شيوخ المساجد ← رمزٌ للذين لا يعيرون التفاتاً لما يجري حولهم وتخلّوا عن واجبهم ومسؤليتهم لأنّ واجب رجل الدّين التّبين والنّصح للأمّة.

شيوخ السّياسة← رمزٌ للذين يمسكون بمنصابهم حتى لا تُنهب دون الاهتمام بالشّعب والوقائع.

شيوخ الكلام ← رمزٌ للذين مهمتّون بقضايا شعبهم لأن يحرّكوا ضمائر النّاس على الطّغاة.

هذا وأنَّ الشاعر بعدوصفه لجميع تفاصيل واقع الأمة العربيّة وصفاً تامّاً، قام يخاطب كساء النبي ويدعو منه أشياء جمّة كأنَّهُ يخاطب إنساناً ما ليتفاعل معه من أجل الوحدة والإخاء فيقول:

يا كساء النّبيّ استمع يا عليّ المقام

أنت أكرم ما في مخيمنا من خيام

فليقم فيك مستوصف إن تيسر يأوي إليه ضعاف الأنام

يا كساء النبي وبرج الحمام

يا شريطا من النور ضم على باقة من كرام

يا شبيه السماء القريب وصبح المعاني

ويارحمة الله منسوجة في خياطة برد يماني

وتذكرة بالزمان العفيّ

يا كساء النبي(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص143)

إنَّ هذه القفلة المثيرة التي قفل فيها الشّاعر جاءت في غاية المتعة، والدّهشة والإثارة إذ حملت في طيّاتها العمق والتّأمل فالشّاعر يقف مخاطباً، الكساء طالباً منه الغوث والمساعدة فيقول يا كساء النّبيّ أصغِ إلى جُرحي وألمي لقد عظُم المصاب يا كساء النبي يا أعزَّ ما لديناااليوم، بحقٍ لك مكانة سامية فنطلب منك أن يكون تحت ظلالك مأوى لضعاف الأنام يأوون إليه، هولاء الذين لا يملكون في حياتهم شيئاً فلتكن لهم مغيثاً معيناً على كلّ حال حتى لا يتبرّموا بالحياة و يستمّر الشّاعر قوله إلى أن يصف الكساءَ بالرّحمة التي شملت جميع المسلمين دون الاختصاص بأمّةٍ واحدةٍ وهذه الرّحمة التي ستنبعث منه هي الإخاء والوحدة والمودّة.

بيان دلالة الرّموز:

كساء النبي وبرج الحمام← رمزٌ للمأوى في الإيواء ولا يرمز إلى إيواء البشر فحسب بل نراه يضمّ الحمام والطّيور وهويذكرنا بسفينة نوح التي كانت مأوى لكلّ شيء في أحوج ساعة حيثُ الهلاك منتشر والشّر مستّطر.

كساء النبي ← رمزٌ للنّور والحياة الحديثة.

كساء النبي ← رمزٌ للرّحمة الشّاملة.

كساء النبي وتذكرة الزمان العفي← رمزٌ للقائد الذي يريد أن يؤلّف بين القلوب المتشاحنة ليصنع مجدا عظيما كما يرمز إلى القوّة القوية التي كانت تتمتع بها الأمّة الإسلامية.

فليقم فيك مستوصف إن تيسّر يأوي إليه ضعاف الإنام← حضن للضعاف من الورى.

بيان دلالة الصّور:

صورة الكساء ←إنسانٌ مصغٍ للفقراء لدى الصّعاب.

صورة الكساء← إنسان يعطف ويشفق على الفقراء.

من ثمَّ يواصل الحديث قائلاً:

يا كساء النبي ارتفع رايةً عاليةً: لبني الجاريه
للذين إذا تُركوا في المنافي وشقر المواني
فلا ماء يخرج من تحت أقدامهم
لاولا وفد يأتي إليهم، وإن أُخذوا ليضحّى بهم
لا فداء لهم يتنزّل من جنّة ما
ولا بيت تعلو قواعده فوقهم، فيجيء الحجيج إليهم بفاكهة الأربع النائية
يا كساءالنبي ارتفع راية عالية:لبني الجارية(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص144)

إنَّ هذا المقطع من أجمل مقاطع الشّاعر في إثارة المتلقّي والانفعال به، وفي حقيقة الأمرأنَّ يتّسم بالدفقة الشّعرية المدهشة اذ جاءت مفعمةً بالمشاعر الطيّبة، المشاعر التي تحرّك حتى الجمادات فيطلب الشّاعر من الكساء أن يكونَ رايةً في غاية العلوّ والسّموّ لهولاء الفقراء الأبرياء الذين لا يجدون لهم معيناً ومساعداً في المواقف الشّديدة الحالكة ذلك لأنَّهم لو وقعوا في قبضة الأعداء لا يأتي إليهم ديّارٌ ليخلّصَهم من هذه المخالب التي تنوي نهشهم فلتتكن أنت مَن يذود عنهم.

بيان دلالة الرّموز:

كساء النبي← رمزٌ للعلوّ والشّموخ. كساء النبي ← رمز لمن هو بصفته منجي الفقراء لدى السّبي والنّفي.

كساء النبي ← رمز للتّضحية والفداء. كساء النبي ← ملجأ الفقراء ومحلّ إيوائهم.

لا بيت تعلو قواعده فوقهم ← رمز للمشرّد الذي يفتقد البيت والإيواء(وهذا الكساء هنا يرمز إلى سقف البيت الذي يقي الفقير والمشرّد من الحرّ)

فواكهة الأربع النائية← البضائع والأغذية التي يجلبها الحجّاج معهم من كافّة الأقطار والبلاد العربيّة وليس المراد حقيقةً جنس الفواكهة وإنَّما أراد لذيذَ الطّعام ومطلوبه.

وهكذا يواصل:

يا كساء النّبيّ وجمّع قبائلهم، خفّف الموت عنهم قليلاً وغربتهم
فلقد أصبحوا في البلاء سواء
وباتوا ولا فرق بين المقيمة والجالية
يا كساء النبي ارتفع راية عالية: لبني الجارية
قم وأعطهمو الدّرع والسّيف والرّمح
واتلُ عليهم من الذّكر شيئاً
وصلّ صلاة الجماعة فيهم وقل حاربوا كلَّ باغٍ قوي
يا كساء النّبيّ(شرتح، تميم البرغوثيّ:ص144)

هذا وأنَّ الشّاعر في هذا المقطع، يطلب من الكساء أن يجمع شمل العرب والمسلمين لتحقيق الوحدة والإخاء وذلك عبر الثّورة والمقاومة في وجه الاستبداد في كلّ شبر من الوطن العربيّ كما أنَّه يتحدّث الشّاعر في هذا الأبيات عن معاناة الغتراب والتشتّت وحالة النّاس في المنافي سائلاً الله أن يخفّفَ غُربتهم وهم في خارج أوطانهم إذ يطلب من الكساء أن يوحّد هذا الشّمل ويجمع القبائل على مسارٍ واحد ليشدَّ من عزيمهتم في وجه المستبدّين إضافة إلى ذلك في أنَّ النّقطة الهامّة التي تسترعي انتباه القارئ هي أنَّ الشّاعر يطلب من الكساء تزويد أمّة المسلمين جمعاء بالسّلاح والدّروع والرّماح لأن يفقوا في وجه الأعداء أُسداً لا ينهنهم اللّقاء، هذا من أجل أن يعمد إلى خلق روح المقاومة والثّورة في النّفوس ضدَّ المحتل الغشيم من ثمَّ يواصل القول مع الكساء طالباً منه أن يقرأ على هولاء المسلمين عدداً من الآي الحكيم وأداء صلاة الجماعة فيهم ذلك كلّه لزرع القوّة والبسالة في قلوب المسلمين وهم يدٌ واحدة تجاه المحتلّين الجشعاء الذين يريدون المساسّ بقداسة الإسلام فيجدر بالذّكر بأنَّ كلّ هذه الأبيات تحمل في طيّاتها روح التمرّد والعصيان ضدَّ المحتلّين للوصول إلى الغاية المنشودة وهي الوحدة وتغيير الواقع مع طرد المستعمر الباغي.

بيان دلالة الرّموز:

كساء النبي ← رمز لجمع القبائل والتّخفيف من الموت والغربة. كساء النبي ← رمز للثورة والتمرّد ضدّ المحتلّين البغاة.

كساء النبي ← رمز لتلاوة القرآن وتذكير النّاس بأحكام ربّهم من التزام الوحدة وجهاد المغتصب.

بيان دلالة الصّور:

صورة الكساء:(صوّره بصورة الإنسان القادر على الإصغاء والتّفاعل مع مايدور حوله).

صورة الكساء:(الإنسان المجمع للشّمل).

صورة الكساء:(الإنسان الذي من شأنه أن يزوّد المسلمين بالسّلاح والقوّة).

صورة الكساء:(الإنسان يؤمّ النّاس في الصّلاة فيكونون خلفه ويستمعون لأمره بعدها وهذه دلالة على أنَّ القائد يقود جماهير الشّعب في أمر دينها ودنياها).

ويختم قصيدته قائلاً:

يا كساء النّبي اجتمع
إذا ما اجتمعت اتّسع
للزّهور ومن لا يحبّ الزّهور ولا يشتهيها
اتّسع للولاة ومن لا يليها
اتّسع للحقيقة والشّك فيها
اتّسع للسّهول اتّسع للجبال
اتّسع للنّساء اتّسع للرّجال
اتّسع للعجوز اتّسع للرّضيع

يا كساء النّبي اتّسع للجميع
وصلّى عليك البصير والسّميع
يا كساء النّبيّ (شرتح، تميم البرغوثيّ:ص144)

يصل الشّاعر في المقطع الأخير من قصيدة إلى قمة الوله والحبّ إلى اجتماع الكساء مع اتّساعه وتحقيق الوحدة الإسلاميّة حيثُ يقول مخاطباً الكساء: يا كساء النبي عليك أن تجتمع وتتّسع للكلّ فما لقدومك من سبب إلا لتشمل الجلّ وتضع المسلمين كافّةً تحت دفئك فينبغي أن تتّسع للطبيعة والزّهور باعتبارها أنّها تبعث في قلوب النّاس والمسلمين الأمل والحيويّة لتغيير الواقع واتّسع للولاة لتتحرك ضمائرهم والعطف على شعوبهم مع التماس الوحدة وهكذا اتّسع للحقيقة والشّك على رغم اختلافهما واتّسع للسّهول والجبال لكي تأوي النّاس والمسلمين بكافّة طوائفهم لدى الاحتدام وهكذا اتّسع للنّساء كما تتّسع للرجال فإنّهم خلقوا من نفس واحدة لكي يعدّوا جيلا طيّب الأعراق واتّسع للعجوز كما تتّسع للرّضيع فالعجوز تحمل في نفسها المزيد من العبر كما الرّضيع سوف يبلغ أشدّه مسلماً محافظاً على قداسة إسلامه وأخيراً يا كساء النّبيّ فليكن اتّساعُك وشموليّتك للكلّ لا لأمّةٍ دون غيرها.

لو يتمّ التّمعّن في المقطع أعلاه سيجد المتلقي بأنّ فعل(اتّسع) تكرّر على عشر مرّات ولا شكّ في أنّ لتسلسل التّكرارغايةً وهدفاً فالغرض من تكرار هذا الفعل، في هذا المقطع، التّأكيد على اتّساع الكساء على وجه العموم مع امتداده.

بيان دلالة الرّموز:

اجتماع مع الاتّساع: هو رمزٌ لشمل المسلمين على مسارٍ واحدٍ.

اتّسع: للزّهور ومَن لا يحبّها: رمزٌ للحيويّة والأمل ورمزٌ بأن يقبل كلّ الطوائف وكلّ الأذواق.

اتّسع: للحكام ومن لا يليها: رمزٌ لضمّ الموافق والمخالف لحكام الدّنيا.

اتّسع: للحقية والشّك: رمزٌ لجمع العلماء على رغم الاختلاف في آرائهم.

اتّسع: للسّهول والجبال: رمز للأماكن التي يمكن الإيواء إليها لدى الضّرورة.

اتّسع: للنّساء والرّجال: رمز للوحدة بينهما على خلق جيل جيّد كما هو رمز للثوّار والمفكرين من الرّجال والنّساء.

اتّسع:للعجوز والرّضيع: رمز للعبر والمواعظ كما أنّه رمز على الأمل الجديد ورمزٌ للكبير والصّغير.

حصائلُ البحث:

بعداستقراء شامل لقصيدة (نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة) للشاعر تميم البرغوثيّ يمكن الإشارة إلى النتائج التّالية:

- بغيةُ الشّاعر الرئيسة من توظيف الرّموز في هذه القصيدة كما بعضها واضح من ناصيّة عنوانها، استجلاء و تحقيق الوحدة الإسلاميّة وزرع الإخاء والمودّه الشّاملة بين المسلمين كافةً مع نزع الغلّ والحسد من قلوبهم كما أنّها جاءت لتقلع الألم والحزن المعشعش في قلب الشّاعر.
- اتّضح أنّ الشّاعر بحقٍ يملك قدرةً فائقةً في خلق الصّور الشّعرية التي تثير القارئ إذ اختار حديث الكساء والنّبيّ الأكرم (ص) وأهل بيته معطياً إياها صبغةً رمزيّة، دينيّة، و أتموسفيراً سياسيّاً للتّعبير عن مراده وهو الوحدة والإخاء.
- تبيّن من خلال الغوص في مطاوي القصيدة، أنّها تحمل بين طيّاتها المزيد من الألفاظ المرتبطة بالقضايا السّياسيّة الموجّهة إلى بعض الشّخصيات: كشيوخ الدّين الذين لا يحفلون بالواقع المرير ورجال السّياسيّة الذين غدا شغلهم الشّاغل، الاحتفاظ بمناصبهم وهكذا الحكام الذين يبثون في دماء الأمّة المسلمة، الخلافات والنّعرات الطائفيّة.
- تجلّى أنّ الشّاعر تميم البرغوثيّ قد استدعى فيه شخصيّة النّبي الأكرم(ص) وكسائه الشّريف لتحقيق الإصلاح لدى الأمّة الإسلاميّة.
- سعى الشّاعر أن يوظّف الكلمات البسيطة التي تستسيغها النّفوس وهي كلمات ما لا تشذّ عن الأسماع والسّبب في ذلك هو إيصال فكرته بسرعة قصوى، إلى الأمّة الإسلاميّة جمعاء لتحقيق الإتّحاد.
- توجّه الشّاعرفي بعض مقاطعه الشّعرية إلى استدعاء النّص القرآنيّ لبيان بعض الواقائع على مرّ التّأريخ لنشر العدل والإخاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- أبو زيد، أنطوان، مدخل إلى قراءة قصيدة النّثر، الطّبعة الأولى، دار النّهضة العربيّة بيروت،2012م.

2- إسماعيل، عزّالدّين،،الشّعر العربيّ المعاصر، الطّبعة الثّالثة، ب دارالعودة،بيروت،1981م.

3- بزون، أحمد،)1996م(.قصيدة النّثر العربيّة، الطّبعة الأولى، دار الفكر الجديد، بيروت،1996م.

4- جبر شعث، جماليّات التّناص، ع دار مجد لادي للنشر و التّوزيع، عمان،2013-2014 م.

5- جواد، عبد الجبار فاتن، اللّون لعبة سيميائيّة، الطّبعة الأولى، دار مجد لاوي للنشر و التّوزيع،عمان،2009م.

6- الحاوي، إيليا، الرّمزيّة والسّرياليّة في الشّعر الغربيّ والعربيّ، الطّبعة الأولى، دار الثّقافة، بيروت، 1983م.

7- حمود، محمد، الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر، الطّبعة الأولى، الشّركة العالميّة للكتاب،بيروت،1996م.

8- خورشا،صادق،.مجاني الشّعر العربيّ الحديث ومدارسه، الطّبعة السّادسة، سمت،تهران،1391ش.

9- خيربك، كمال، حركة الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر، الطّبعة الثّانية، دار الفكر،بيروت،1986م.

10-روارق، خالصة، رسالة لنيل الماجستير: حوار المذهب و الثّورة في شعر تميم البرغوثيّ قراءة في قصيدة نثر موزون و شعر منثور في حديث الكساء و وحدة الأمّ،2015م.

11-سالم الغوج، أحمد، فنون التّعبير الأدبيّ، الطّبعة الأولى، دار الفتح للدّراسات والنّشر، عمّان-الأردن،2013م.

12-شرتح، عصام، دراسات نصيّة في المحفّزات الجماليّة و مختارات شعريّة،2012م.

13-العراقي، فائز، القصيدة الحرّة، محمد ماغوط نموذجاً، الطّبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاريّ، لبنان،2008م.

14-عيد، يوسف، المدارس الأدبيّة و مذاهبها، الطّبعة الأولى، دارالفكر اللبنانيّ، بيروت، لاتأريخ.

15-كندي، محمد علي، الرّمز و القناع في الشّعر العربيّ الحديث، الطّبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتّحدة بيروت،2003م.

16-مسلمي، محمود، ظاهرة التّناص في شعر عبد العزيز الحماديّ، النّدوة العالميّة لدراسة دور الكتاب و الشّعراء الايرانيين في ازدهار الثّقافة الإسلاميّة،شيراز ،1396ش.

17-مصطفى، فائق،(لا تأريخ).في النّقد الأدبيّ، منطلقات و تطبيقات، جامعة الموصل، العراق.

18-يموت، غازي، الفن الأدبيّ أجناسه و أنواعه.

الهوامش:

1. ولد الشّاعر تميم البرغوثيّ بالقاهرة سنة1977م من أب فلسطيني شاعر أشهر من نار على علم هو مريد البرغوثي، وأم مصريّة هي الكاتبة المبدعة رضوى عاشور.عمل أستاذاً مساعداً للعلوم السّياسيّة بالجامعة الأمركيّة بالقاهرةِ، ثمّ عمل ببعثة الأمّة المتّحدة في السّودان، كتب مقالاً أسبوعياً عن التّأريخ العربيّ والهويّة في جريدة الديلي ستار اللّبنانية النّاطقة بالإنجليزيّة لمدّة سنة من2003-2004م ومن مصنفاتِهِ يمكن ذكر: 1الوطنيّة الأليفة هو الوطن وبناء الدّولة الوطنيّة في ظل الاستعمار صدر عن دار الكتاب والوثائق القوميّة بالقاهرة عام2007م.2 له كتاب بالإنجليزيّة عن مفهوم الأمّة في العالم العربيّ وهو تحت الطّبع كما له أربعة دواوين باللّغة العربيّة الفصحى وبالعاميتين الفلسطينيّة والمصريّة هي:
   1. مينجا عن بيت الشّعر الفلسطينيّ برام الله عام1999م.
   2. المنظر، عن دار الشّروق بالقاهرة عام 2002م.
   3. قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف، عن دار الشّروق بالقاهرة عام 2005م.
   4. مقام عراق، عن دارأطلس للنشر بالقاهرة عام 2005م.(خالصة رواق،حوار المذهب والثّورة في شعر تميم البرغوثيّ قراءة في قصيدة نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمّة: ص 13)